بنية الشخصية الروائية الثورية ودلالتها في الرواية الجزائرية المعاصرة
رواية "هموم الزمن الفلاقي" لمحمد مفلاح أنموذجا

The structure of the romantic revolutionary and its meaning Algerian contemporary roman

الدكتور: عبد القادر سي أحمد

البريد الالكتروني:aeksiahmed@gmail.com

جامعة حسيبة بن بوعلي – الشلف- (الجزائر)

تاريخ الإرسال: 2019/01/24 تاريخ القبول:2019/02/25 تاريخ النشر: 2019/10/13

الملخص:

تعد الرواية في العصر الحديث من أهم الأجناس الأدبية التي عنيت بالاهتمام سواء من قبل المبدعين أو النقاد مما أهلها بأن تكون أرضا خصبة ومجالا واسعا يعجز الفرد الإحاطة به، وتعد الشخصية الروائية أحد أهم مكون من مكونات الرواية، بالإضافة إلى المكونات السردية الأخرى – الزمان، الحيز، الحدث، اللغة–

ولأهمية الشخصية الروائية بمكان نود أن نبرز في هذا المقال بنية الشخصية الروائية الثورية ودلالتها، من حيث تعريف القرّاء بتاريخهم ، بالإضافة إلى ما تتضمنه أحداث التاريخ من دروس وعبر، مع التركيز على الأداء البطولي وإبراز القيم الأخلاقية نحو: التضحية والوفاء وغيرها من مختلف الصفات والأخلاق التي يجب على الفرد أن يتحلى بها أو أن يجتنبها.

وعليه، فماهي الشخصية الروائية؟ وما هي بنيتها؟ وكيف يمكن للكاتب أن يوظفها في عمله الروائي ليجعلها منها أيقونة تحمل في طياتها قيما فنية ذات أبعاد ودلالات مختلفة.؟

الكلمات المفتاحية: الشخصية، الرواية، الشخصية الروائية، القيمة، الدلالة، المؤشر

Abstract:

The novel in the modern world of literary races is the most important one that meant attention by both the founders or critics which allowed to be a fertile and broad enough ground the thing that prevents anyone from surrounding him, The function the most important component of the novel in addition to time and place - the space - where events gravitate.

And due to the importance of the place of personal narrative that we wish to highlight in this article the personal structure of the revolutionary meaning in terms of the definition of the readers of their history, in addition what reveals the events of the lessons of the history and through, focusing on performance and showcasing the heroic good values, nobility, loyalty, and various other qualities and good manners.

Therefore, what is the personal narrative? What is its structure? And how can the author use in his novelistic work and how can he bring different connotations to personality?

Keywords: personal, meaning, character, sign, character

الشخصية الروائية: للشخصية الروائية أهميتها بمكان في بناء الخطاب السردي الروائي، باعتبارها مكونا أساسيا من مكونات الرواية، حيث "يكون بينها وبين القارئ أبعاد مشتركة، بحيث يرتبط القارئ بفعل الشخصية الروائية"[1]، كما أنها تعد وسيلة الكاتب لتجسيد رؤيته والتعبير عن إحساسه بواقعه "ومن ثم كان التشخيص هو محور التجربة الروائية"[2]، كونه –التشخيص– أحد التقنيات التي يلجأ إليها المبدع لبناء شخصياته الروائية و"يمكن أن يكون في الأغلب مباشرا أو غير مباشر، ويمكن أن ينهض على مجمل عرضي لسمات الشخصية الرئيسية أو يميل إلى تقديمها تدريجيا، ويمكن له أن يؤكد على ثباتها أو ما يعتريها من تغيير أو يفضل النمذجة أو النمطية (يجعل الشخصية مطابقة لنموذج معين)، أو على النقيض يجعلها نسيج وحدها وهكذا دواليك"[3]، كما أن مفهومها يختلف باختلاف الاتجاهات الروائية التي تهتم بها، فتصوّرها التقليدي "يعتمد أساسا على الصفات مما جعله يخلط كثيرا بين الشخصية الحكائية(Personnage)، (personal(e)، والشخصية في الواقع العياني (Personane)،(person(e)، وهذا ما جعل ميشال زيرافا يميز بين الاثنين عندما اعتبر الشخصية الحكائية (personal)، علامة فقط على الشخصية الحقيقية(person)"[4] ، كما أكد (فيليب آمون)، على أن "رواج التحليل السيكولوجي أسهم في تعقيد المسألة وإثارة اللبس في التمييز بين الشخص (Personne)، والشخصية (Personnage)"[5]، أما أصحاب الرواية الحديثة فالأمر عندهم يختلف، كون "أن الشخصية الروائية، ما هي سوى كائن من ورق، ذلك لأنها شخصية تمتزج في وصفها بالخيال الفني للروائي (الكاتب)، وبمخزونه الثقافي، الذي يسمح له أن يضيف ويحذف ويبالغ ويضخّم في تكوينها وتصويرها، بشكل يستحيل معه أن نعتبر تلك الشخصية الورقية مرآة أو صورة حقيقة لشخصية معينة، في الواقع الإنساني المحيط، لأنها شخصية من اختراع الراوي فحسب"[6]، فالشخصية الروائية هي "نتاج عمل تأليفي، كان يقصد أن هويتها موزعة في النص عبر الأوصاف والخصائص التي تستند إلى اسم (علم) يتكرر ظهوره في الحكي"[7]، باعتبار أنها "ليست في البداية سوى سناد يحيل عليه في الغالب اسم علم يسند له الكاتب تدريجيا وعلى امتداد الرواية بعض الوظائف، [أو الأفعال]، و/أو تأهيلات"[8]، مما يجعل الشخصية الروائية من هذا المنطلق، ولدى المتلقي "تختلف الواحدة باختلاف القرّاء واختلاف تحليلاتهم، فهي متعددة الوجوه بحسب الزاوية التي يتم تناول تلك الشخصية من خلالها"[9]، كما أنه "يتم وجودها ويكتمل وفقا لصياغات خاصة بالتحليل الروائي، فالشخصيات لاوجود لها خارج الكلمات، فهي –الشخصية الروائية– "ليست سوى مجموعة من الكلمات، لا أقل ولا أكثر، أي شيء اتفاقيا أو [خديعة أدبية] يستعملها الروائي عندما يخلق شخصية ويكسبها قدرة إيحائية كبيرة بهذا القدر أو ذاك"[10]، كما يرى بعض النقاد أن الشخصية الروائية ماهي، إلا "تركيب أبدعته مخيلة الراوي وجسدته اللغة، ولا سبيل إلى معرفة التركيب إذا لم ننطلق من اللغة التي جسدته وجعلته الشيء الوحيد الملموس بالنسبة إلى الناقد أو القارئ على حد سواء...أي أن الشخصية وحدة دلالية ذات دال ومدلول كأية علامة لغوية"[11]، وهو ما جعل أصحاب التحليل النبوي "لا ينظرون إليها من وجهة نظر التحليل البنائي المعاصر إلا على أنها بمثابة دليل (Signe) له وجهان دال(Signifiant)، والآخر مدلول (Signifie)، وهي تتميز على الدليل اللغوي اللساني من

حيث أنها ليست جاهزة سلفا، ولكنها تحوّل إلى دليل، فقط ساعة بنائها في النص، في حين الدليل اللغوي له وجود جاهز من قبل، باستثناء الحالة التي يكون فيها منزاحا عن معناه الأصلي كما هو الشأن في الاستعمال البلاغي مثلا، وتكون الشخصية بمثابة دال من حيث أنها تتخذ عدة أسماء أو صفات تلخص هويتها"[12]، هذا من ناحية كونها دال، أما من النحية الثانية كونها كمدلول، "فهي مجموع ما يُقال عنها بواسطة جُمل متفرقة في النص أو بواسطة تصريحاتها، وأقوالها، وسلوكها، وهكذا فإن صورتها لا تكتمل إلاّ عندما يكون النص الحكائي قد بلغ نهايته، ولم يعد هناك شيء يقال في الموضوع"[13]، وبالتالي تصبح الشخصية الروائية "المكوّن الذي يحاول به كاتب الرواية، عن طريق أسلبة اللغة وفقا لشفرة خاصة ونسق متميز، مقاربة ذلك الإنسان الواقعي الذي تشي إليه عادة بكلمة (Person)، للدلالة على الفرد الذي تتضافر عوامل طبيعية واقتصادية واجتماعية في تكوين جسمه ونفسيته"[14]، غير أن "البنيويين يبتعدون المطابقة بين الشخصية الروائية والإنسان الحقيقي فيستعملون مصطلحين مختلفين للتمييز بينهما وهما: الأول مصطلح الشخص ويعني الإنسان الفرد كما هو موجود في الواقع، أما المصطلح الثاني فهو مصطلح الشخصية، والمراد به الشخصية داخل المجتمع الروائي، وقد خلقت لغة الروائي هذه الشخصية بواسطة الخيال مما جعل مفهومها تخييليا لسانيا"[15]، فالكاتب وبواسطة اللغة "يختار من الواقع بعض شخوصه، ثم يجري عليها من التعديل، والتغيير، والتحوير، ما يجريه، لتبدو لنا خلقا جديدا، لا علاقة له بالنُّسخ التي تمثل المادة الخام، والعناصر الأولية، التي صيغت منها بصورتها النهائية المنقحة"[16]، بمعنى أن الكاتب يختار الشخصية الروائية ويصورها للمتلقي وفقا لأفعالها وحركاتها وصفاتها، ليشد انتباهه ومواصلة القراءة حتى نهاية الرواية بغية التعرف على ما ستؤول إليه نهاية الشخصيات ونهاية الأحداث، حيث يلجأ الكاتب إلى تحديد "السمات التكوينية للشخصية الروائية التي تتألف من إشارات باطنية وخارجية تنتمي إلى عدة مستويات سردية وصفية أو خطابية، يمكن إجمالها كما يأتي[17]:

ولتجسيد الشخصية فنيا فلا بد لها من شروط هي[18]:

1- أن تكون مقنعة معبرة عن نفسها، أي بعيدة عن التناقض

تصوير الشخصية	المحكي	الحوار	المونولوج
ذاتي الشخصية أو أوطوبيوغرافي	ما تفعله الشخصية	ما تقوله الشخصية وكيف تقوله (ممهدات الحوار)	ما تفكر فيه الشخصية

2- أن تكون حيوية فعّالة ومتفاعلة مع الأحداث متطورة بتطورها من أول القصة إلى آخرها

3- أن يتوفر فيها عنصر الصراع، ويقصد به الاحتكاك بينها وبين نفسها، وعواطفها الذاتية أو عقيدتها، أو عقلها، أو بينهما وبين شخصيات أخرى، وكلما كان الصراع قويا واضحا بين هذه العناصر كانت القصة انجح وأعمق تأثيرا.

تصنيف الشخصيات: تعد عملية تصنيف الشخصيات الروائية وتحديدها من القضايا التي اختلف فيها النقاد والدارسون خاصة تلك التحديدات الخاصة بـ"الثبات أو التغيير التي تتميز بها الشخصية والتي تتيح لنا توزيع الشخصيات إلى سكونية (Statique) وهي التي تظل ثابتة لا تتغير طوال السرد، وديناميةDynamiques)) تمتاز بالتحولات المفاجئة التي تطرأ عليها داخل البنية الحكائية الواحدة، كما يجري النظر إلى أهمية الدور الذي تقوم به الشخصية في السرد والذي يجعلها تبعا لذلك إما شخصية رئيسية(أو محورية)، وإما شخصية ثانوية أي مكتفية بوظيفة مرحلية(Fonction épisodique)"[19]، فتصنيف الشخصيات الروائية يعتمد على مجموعة تحديدات مرتبطة ببناء الشخصية ووظيفتها وأفعالها وأدوارها، حيث يمكننا تحديدها وتصنيفها من خلال خاصية الثبات أو التغيير والتي تتيح لنا توزيعها إلى شخصيات سكونية وشخصيات دينامية هذا من جهة، كما يمكننا تصنيفها من خلال أهمية الدور الذي تقوم به في السرد، مما يجعلها تقسم إلى شخصيات رئيسية وشخصيات ثانوية.

الشخصيات الرئيسية: في كل رواية أو قصة تختلف الشخصيات باختلاف الدور الذي تقوم به، مما يجعلنا أمام شخصيات رئيسية وأخرى ثانوية، فالأولى هي التي "يصطفيها القاص لتمثل ما اراد تصويره أو ما أراد التعبير عنه من أفكار أو أحاسيس وتتمتع الشخصية المحكم بناؤها باستقلالية في الرأي، وحرية في الحركة داخل مجال النص، وقوية ذات فاعلية كلما منحت حرية، وتحركت ونمت وفق قدراتها وإرادتها وأبرز وظيفة تقوم بها هي تجسيد معنى الحدث القصصي لذلك فهي صعبة البناء"[20]، كما أنها هي التي تنال من الكاتب عناية كبرى حيث يجعلها في مركز اهتمام الشخصيات الأخرى فتكون "هي الغرض الذي ينشده الروائي، فهي هنا ذاتٌ وموضوع، ومحورُ عناية الكاتب الروائي على السواء، وقد تكون أيضا محور انتباه القارئ"، فهي التي تقوم بالدور الأساسي، وتكون محل اهتمام السارد والشخصيات الأخرى وتشد انتباه القارئ"[21] ويصطلح عليها بمصطلحات مرادفة بالشخصية (المحورية) أو (الرئيسية) أو(المعقدة) أو(المتحركة) أو(المكثفة) أو (المتعددة الأبعاد) أو(المتغيرة)"[22] ، مما يؤهلها بأن تكون هي مركز العمل الروائي، لأهمية ما تقوم به باعتبارها "تكره وتحب، وتصعد وتهبط، وتؤمن وتكفر، وتفعل الخير كما تفعل الشر، تؤثّر في سوائها تأثيرا واسعا"[23]، وهو ما يجعلها تنال الاهتمام الأكبر من قبل المبدع، لحضرها الدائم والمستمر في مجرى الحكي.

الشخصيات الثانوية: وإلى جانب الشخصيات الرئيسية هناك الشخصيات الثانوية "التي تكون أدوارها أقل أهمية وكثافة من الشخصيات المحورية"[24]، فأدوارها محدودة إذا ما قرنت بالشخصيات الرئيسية، فهي التي تقوم بدور ثانوي، إما تكون في خدمة الشخصية الرئيسية أو ضدها وهي "أقل تعقيدا وعمقا من الشخصيات الرئيسية وترسم على نحو سطحي، حيث لا تحظى باهتمام السارد في شكل بنائها السردي، وغالبا ما تقدم جانبا واحدا من جوانب التجربة الانسانية"[25]، فالشخصيات الروائية تتوزع وتتنوع داخل العمل الروائي بحسب الأدوار والأفعال والوظائف التي تقوم بها داخل النص الروائي، حيث يكون تصنيفها تبعا لما تقوم به. وبالإضافة إلى هذه التصنيفات، فإن نَقَدَتنا أضافوا أشكالا أخرى من الشخصيات التي استقوها من الغرب، لكن نكتفي بهذا الذي ذكرناه، كون أنها النموذج الأكثر تداولا في بناء الشخصيات الروائية.

الملامح العامة للشخصية في الرواية : تعامل الكاتب محمد مفلاح في هذه الرواية –**رواية هموم الزمن الفلاقي**– مع التاريخ بوصفه مادة للعمل الابداعي الذي يصدم فيه الواقع الذي مضى بواقع لا ينفصل عن السياق الاجتماعي الذي أنتجه في حيز يجسد البعد النضالي للشعب الجزائري، حيث جعل الزمن الفلاقي هو زمن الثورة الذي صوّر من خلاله أوضاع الشعب الجزائري آنذاك وصوّر نضاله المسلح ضده، كما أعطى لزمن الثورة صفات متعددة في المتن الروائي :**الزمن السرطاني**[26] **الزمن الصعب**[27]، **الزمن المخيف**[28]، **زمن الجوع والعري**[29]، **زمن الانفجار**[30]، ساعيا إلى تصوير الواقع إنطلاقا من مدينة غليزان، جاعلا زمن الثورة التحريرية مركزا لتطور الأحداث وحركية الشخصيات، هذه الأخيرة – الشخصيات الروائية– التي اختار لها البنية المغلقة، فوضع لكل واحدة منها مصيرا محتوما ونهاية لكل دور قامت به كاستشهاد أبطال الرواية، حيث أنه عرض شخصياته الروائية في صنفين :

1– نماذج من الطبقة الكادحة يجمع بينها بؤس الواقع والمعانات مما دفعها إلى الانخراط في صفوف جيش التحرير، نحو: حماد الفلاقي، وعدة الطالب، وسعدية وخديجة، وغيرها من الشخصيات التي سنوردها أثناء التحليل

2–جنود الاحتلال نحو – الضابط العين الزرقاء– مع الحفاظ على الأسماء العامية.

حماد الفلاقي: وهو الشخصية البطلة التي تدور حولها كل الأحداث وهو الذي تفاعل مع جميع شخصيات الرواية وهو من أكثر الشخصيات الروائية حضورا وظهورا وهو المحرك الأساسي لجميع الأحداث في الرواية، وهو الشخصية الأكثر صراعا مع الشخصيات، والأكثر تأثّرا بها وتأثيرا فيها وهو الأكثر عمقا ودلالة. وقد افتتح الروائي روايته بهذه الشخصية المحورية – حماد الفلاقي– الذي كان جالسا في المقهى الشعبي منتظرا انفجار القنبلة التي وضعها في خمارة ليون، وهو جالس يتذكر ماضيه ويتذكر مغامراته مع بعض الشخصيات التي سيقاسمها الأحداث نحو: القايد موسى الجواج، والمعمر فانسا والضابط العين الزرقاء ويتساءل عن بعضها الآخر، "**متى انتمى سي عدة إلى الثورة؟**،... **وجلول الكبي، كيف أصبح منهم لقد تحول إلى حركي نذل**"[31]، فبمثل هذا الأسلوب الاستفهامي يكون المبدع محمد مفلاح حريصا على جذب القارئ وتشويقه لمعرفة ما ستؤول إليه الأحداث والمواقف من قبل الشخصيات، مع التركيز على حماد الفلاقي الذي اشتغل عدة مهن في الدوار ثم انتقل إلى المدينة، لكنه كان دائما يحس بشئ يحز في نفسه الثائرة على الوضع البائس الذي يعيشه حتى "**كانت اللحظة التاريخية التي كلفه فيها سي عدة بعملية تفجير خمارة ليون**"[32]، وتغيّر الثورة حماد الفلاقي تغييرا جذريا وتصبح أيامه الماضية شحنة قوية تدفعه إلى الأمام إلى البحث عن التغيير والبحث عن الانتصار على الذات وعلى الواقع بكل مفارقاته، فبعد ما كان صاحب المطعم بوزيد "**يعامله باحتقار**"[33]، كان هو يبتلع الإهانة ويقول في قررات نفسه "**لابد من توفير لقمة الخبز للأولاد**"[34]، لكن بعدما سمع دوي انفجار قنبلته انتصب واقفا مبتسما راضيا عن نفسه، مناديا "**يا سي عدة أنا سعيد... هذا الانفجار انفجاري.. لقد انتهت خمارة ليون... سأعود إلى الدوار وهناك سأواصل مسيرتي...**"[35]، نعم سيواصل مسيرته من دون خوف لأن "**الخوف هو الذي جعل هؤلاء الأجانب أسيادا في بلادنا**"[36]، متعهدا بالوفاء للشهداء مخاطبا الشهيد عدة الطالب، "**يا أيها الشهيد نم هنيئا. لا ما زلت بيننا حيا... ستظل روحك تراقب حركاتنا وسكناتنا**"[37]، ومتوعدا الخونة بالقتل حتى وإن كانوا أصدقاء الطفولة

ومن نفس العشيرة ومن نفس الدوار، "**أنا الذي سأقتل الخائن**"[38]، يسعى الكاتب من خلال هذا الموقف إلى بث قيم خلقية في نفوس القرّاء، مثل وجوب إتباع الحق، وقول الصدق، والاعتراف لأهل الفضل، والفصل بين العاطفة والواجب، وأن البطولة تولد من رحم المعاناة

ويواصل محمد مفلاح سرد أحداث الشخصيات الأخرى التي كان لها دورا إما مكملا أو مساعدا للشخصية المحورية أو معرقلا ومعارضا لها، وفق نسق تصاعدي ينتهي إلى نقطة معينة مع تركيزه على الأداء البطولي وإبراز القيم الأخلاقية، حيث تُحكى الأحداث من خلال بنية السرد مع الاستعانة ببعض المشاهد الحوارية في بناء أسلوبي يعتمد على البساطة والوضوح، فالجمل سواء كانت سردية أم حوارية، بسيطة التراكيب والألفاظ على قدر المعاني.

عدة الطالب: شخصية مساعدة درار – معلم الصبية القرآن– وهي الأكثر حضورا في الرواية بعد الشخصية المحورية التي كان لها الفضل في تغير حالها من أسر الفقر والضياع إلى التحرر والاحترام، باعتراف البطل حماد، الذي يقول: "**إيه يا سي عدة...أنت الذي زرعت بذرة الثورة في أعماقي، لن أنسى اليوم الذي سلمت إلي فيه القنبلة... نعم تلك القنبلة التي أعطت لحياتي معنا كبيرا وجعلتني رجلا متحررا ومحترما**"[39]، وفيا لابنة عمه التي اغتصبها جانو بن المعمر فانسا بقتله ثأرا لشرفها وموتها، لكن بعدما أغلق الجامع بأمر من الضابط، صار يهوى العزلة، وقطع كل صلة مع الآخرين "**ثم أصبح عاملا في حقول المعمر فانسا... وبعد شهور قليلة ترك عمله في المزرعة،...**"[40] فتعجب الناس من فعله هذا الذي كان في حقيقة الأمر معرفة ودراسة موقع المزرعة وكذلك حتى "**يتعرف على كل الأشخاص الذين كانت تربطهم علاقة بالمعمر**"[41]، فكان دور هذه الشخصية تقنيا وكان الحدث المرتبط بها هو التدرب على مواجهة الأخطار والمواقف الصعبة بشجاعة من خلال التفكير السليم والصبر على الأذى والمكاره لادراك الغايات والمقاصد.

سعدية: بنت القايد موسى الجواج التي أرغمت على الزواج من جلول الكبي، التي قدمها الكاتب على أنها المرأة التي كان لها دور بطولي في الرواية، غادرت بيتها بعدما اصطدمت بزوج خائن وأب جشع، والتحقت بالثوار حفاظا على شرفها وعفتها، لأن بيت زوجها الخائن كان مرتعا للسمر وتعاطي الخمور من قبل الضابط العين الزرقاء والعساكر، لذا تبرر سعدية خروجها وتقول: "**لا أحد يستطيع الصبر في بيت جلول. خفت أن يعتدي علي الضابط وعساكره...أنا أفضل حمل السلاح وسأكافح حتى أستشهد**"[42]، كما أنها ستتحمل كل الصعاب وستصبر على قر الشتاء وحر الصيف وتَحمُّل الجوع، وأخطار الموت ، وكم "**كانت سعيدة بثقة المجاهدين فيها... وبتواجدها بالجبل... تخلصت من همومها...الآن تحررت من كل القيود**"[43]، فكانت هذه المرأة نموذجا للعمل البطولي ونموذجا لما ينبغي أن يتصف به المرء من ذكاء وشجاعة في مواجهة التحديات والأخطار وعدم الضعف والركون للواقع، وتحدي الصّعاب ، والتحرر من قيود الذل والهوان

الشيخ المهدي: شخصية مساعدة، عاش فقيرا، عمل في مزارع المعمرين، أدركه زمن الثورة، زمن الانفجار وهو شيخ كبير فتألم وتأوه لعدم وجوده بالجبل الأخضر، وتساءل: "**ماذا يجري هناك.. في أدغال الجبل الأخضر؟.. آه لو كان**

شابا لركض إلى هناك، وانضم إلى الثائرين"[44]، ولكن شيخوخته لم تمنعه من تقديم الدعم للثورة والمشاركة في تحرير وطنه، فعمل بمزرعة المعمر فانسا ليسمح له ذلك بتوطيد علاقته بعمال الأرض... فيوضح لهم الأمور الغامضة ويحثهم على توحيد الصفوف ويدفعهم نحو الاتجاه الصحيح، كما أنه كان حريصا حرصا شديدا على تعليم ابنه محمد وكان يحثه ويقول له : "**أريد منك أن تقرأ... اجتهد يا ولدي حتى تنجح وتخرج من عالم الفقر...**"[45]، فالكاتب يسعى من وراء هذا الموقف ترسيخ ما ينبغي أن يتوافر للأولياء والشيوخ من صفات النصح والتوجيه السليم للأبناء وعامة الناس.

محمد الصغير بن الشيخ المهدي: آثر الالتحاق بالثوار ومقاطعة الدراسة، لأنه – كره القايد موسى الجواج كونه أراده راعيا عنده، – وكره المعمر فانسا لأنه طرد والده من المزرعة وكان قاسيا معه، – ويكره العساكر وجلول الكبي لأنهم عذّبوا خاله[46]، فخيال الكاتب هنا لا ينفصل عن السياق الاجتماعي الذي أنتجه، فهو انعكاس للحياة الشعبية السائدة آنذاك إبّان الثورة التي طالما ساهمت في تشكيل جيل نضج قبل أوانه لايؤمن بالضعف ولا يهاب المخاطر.

خديجة: الشابة أرملة الشيخ الشهيد المهدي وأخت البطل حماد الفلاقي، التي تسعى بكل قوة حتى يدرس ابنها محمد فتنفذ وصية زوجها وتحقق حلمها وحلم زوجها في تعليم ابنهما ليكون له مكان في الجزائر المستقلة بعد الثورة التي بشرها بها زوجها، "**اسمع ياولدي..أبوك أوصى بتعليمك.. قال لي: سيتحرر الوطن، وسيجد محمد فيه مكانه اللائق بفضل التعليم**"[47] فتتحدى كل ظروفها وتخرج لتجمع السنابل التي تضييعها ماكينات الحصاد حتى تصبح "**لقاطة**" تركض تحت أشعة الشمس المحرقة بحثا عن سنابل ضائعة. ياله من عمل شاق، ولكنه عمل أفضل بكثير من التسول أو انتظار الموت البطيء (...)، الحياة صراع (...)، قررت الخروج من كوخها لتتحدى كل العيون (...)، وأن تعتمد على نفسها للحصول على **لقمة شريفة** بعدما التحق رجال الدوار بالجبل الأخضر[48]، لقد عمد الكاتب –محمد مفلاح– إلى تقديم هذه الشخصية في صورة تتعامل مع مقتضيات الواقع ولاتركن إلى الأحلام بل تسعى إلى تحقيق أحلامها وطموحاتها بالعمل كونه الوسيلة الوحيدة لتحويل الأحلام إلى واقع، وقد قيل: **وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا**

القايد موسى الجواج: شخصية معادية، لايتردد في استغلال أبناء جلدته واستعبادهم، فهو " **لا يؤذي الناس فقط بل يمتص دماءهم وإذا جفت أجسامهم يدفعهم للذئاب المفترسة**"[49]، ولا يفرق بين قريب أو بعيد، الكل يساوي مصالحه ومنافعه، حتى وان كان من أقرب الناس إليه، فهاهو يحث سعدية فلذة كبده على الزواج من جلول الخائن بعدما رفضه لما كان خماسا عنده مبررا فعله بقوله: "**أنا أبوك وأريد مصلحتك، لقد رفضته لما كان مجرد خماس. أما اليوم فهو ينتمي إلى عساكر المركز...**"، فترفض سعدية الزواج به، **لأنه حركي وكل الناس يكرهونه**، فيرد عليها: **ومامعنى حركي؟، إنها وظيفة كباقي الوظائف**، ويواصل تعداد خصال جلول الحركي "**شاب طيب وطموح... وهو رجل محترم في جيش فرنسا إنه الرجل الذي يناسبك**[50]، في حقيقة الأمر هو لا يفكر إلاّ في مكاسبه ولا يتعاون إلاّ مع من يضمن له الربح، لافرق بينه في ذلك والاستعمار، كلاهما يبتز خيرات الشعب ويسلب الناس حقوقهم، فهو مثله مثل المعمر فانسا الذي كان يعرف عنه بـ"**أنه رجل شرير، يجلد عمال مزرعته بالسوط، ويركل الأطفال الذين يعملون عنده في**

موسم جني العنب"[51]، فكلاهما يستغل كلّ شيء من أجل تحقيق مآربه الشخصية حتى وان كان على حساب أقرب الناس إليه، لجشعه وطمعه.

جلول الكبي: شخصية معادية، خان نفسه وعائلته وأصدقاءه ووطنه، في صغره كان يكره الاستعمار ويحرض حماد على ضرورة محاربته، لكن طمعه وأنانيته جعلته لايتوانى في استغلال ضعف أبناء جلدته استغلالا فاحشا مما جعلهم "**يرهبونه، واتقاء شره، كانوا يقدمون له بعض الهدايا المتواضعة، دجاجة، حبات بيض، سلة تين،...**"[52]، ولايهمه شيء في هذه الدنيا سوى جمع المال وبشتى الطرق، باعتباره "**كان يأخذ بالقوة ماكان يعجبه**"[53]، كان عاقا لوالديه، وكان سببا في موت أخته مريم التي طلبت منه التوبة والرجوع إلى أهله وأبناء جلدته، عذّب حماد الفلاقي بالكهرباء وماء الصابون، فكان الجزاء من جنس العمل، اقتحم حماد الفلاقي بيته ليلا فوجده عاريا في فراشه فأيقضه وخاطبه قائلا خيبت أملي فيك، ثم أجهز عليه فقتله، ذلك أن الخيانة ليس لها دين ولا شفاعة ولا جنس وحكمها واحد هو الموت.

خلاصة القول: أن الكاتب محمد مفلاح حرص كل الحرص من خلال هذه الرواية "**هموم الزمن الفلاقي**" للوصول إلى الغاية المنشودة وهي: إذكاء روح الانتماء الوطني في نفوس القرّاء وتعريفهم بتاريخهم بالإضافة إلى ما تتضمنه أحداث التاريخ من دروس وعبر، وما تصوّره من قصص الشجاعة والبطولة والتضحية وقد حاول الكاتب على أن يقدم لنا أبطاله في صوّر نموذجية، يمتلكون قدرا كبيرا من الذكاء والشجاعة التي تمكنهم من مواجهة الأخطار، بالإضافة إلى ما يتصفون به في سلوكياتهم من صفات المروءة والتضحية والإيثار، وأن الهدف من تقديم هذه الصفات وهذه السلوكيات هو التأكيد على أن يجعلها الإنسان كقيمة سلوكية ينبغي أن يتحلى بها المرء في مقابل صفة الخيانة التي هي من الرذائل الأخلاقية التي تؤدي بصاحبها إلى الهلاك، مع الاشارة إلى طبيعة القوى الاجتماعية التي لعبت دورا أساسيا في النضال الوطني على أيام الثورة وامتداداتها فكانت الشخصية الثورية عنده تعكس كل فئات الشعب الجزائري.- رجال، نساء، شيوخ، شباب، أطفال- مع الاستعانة باستعمال المواقف التي تشد انتباه القارئ وتوفر له قدرا من التشويق والإثارة، كتلك المواقف والأسئلة والحوار، كل ذلك باستعمال لغة تتسم ببساطة الصياغة ووضوح الألفاظ، حيث كانت الكلمات على قدر المعاني، حرصا من الكاتب على وضوح المعنى ووصوله إلى ذهن القرّاء بيسر وسهولة.

هوامش البحث

[1] محمود محمد عيسى ، تيار الزمن في الرواية العربية المعاصرة، ط1، مكتبة الزهراء القاهرة، 1991م، ص: 100

[2] محمد بوعزة، تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 1431هـ/2010م ص: 44

[3] جيرالد برنس، المصطلح السردي، تر: عابد خزندار، تقد: محمد بريري، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، 2003م، ص: 44

[4] أحمد رحيم كريم الخفاجي، المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، 2012م، ص: 379

[5] رشيد بن مالك، السيميائيات السردية ، ط1، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، 1427هـ/ 2006م

[6] آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2015م، ص: 34-35

[7] أحمد رحيم كريم الخفاجي، المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث، ص: 379

[8] رشيد بن مالك، السيميائيات السردية ، ص: 138

[9] أسماء أحمد معيكل، الأصالة والتغريب في الرواية العربية، روايات حيدر حيدر نموذجا، دراسة تطبيقية، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، 2011م، ص: 331

[10] أحمد رحيم كريم الخفاجي، المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث، ص: 381

[11] أسماء أحمد معيكل، الأصالة والتغريب في الرواية العربية، ص: 332

[12] حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ط3، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، الدار البيضاء/ بيروت، 2000م، ص: 51

[13] حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص: 51

[14] أحمد رحيم كريم الخفاجي، المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث، ص: 382

[15] أسماء أحمد معيكل، الأصالة والتغريب في الرواية العربية، ص: 332

[16] إبراهيم خليل، بنية النصّ الروائي، دراسة، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 1431هـ/2010م ص: 175

[17] برنار فاليط، النص الروائي، تقنيات ومفاهيم، تر: رشيد بن حدو، دط، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، 1999م، ص:45

[18] شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، 1974-1985، دط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1988م، ص:35-36

[19] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ بيروت، 1990، ص: 215

[20] شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، ص: 33

[21] إبراهيم خليل، بنية النص الروائي، ص: 199

[22] أحمد رحيم كريم الخفاجي، المصطلح السردي في النقد الادبي العربي الحديث، ص:397

[23] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، دط، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، دت، ص:131-132

[24] عبد الرحمن محمد محمود الجبوري، بناء الرواية عند حسن مطلك، ص: 10

[25] محمد بوعزة، تحليل النص السردي، ص: 57

[26] محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة، رواية "هموم الزمن الفلاقي"، دار الحكمة، الجزائر،دط، 2007، ص 218

[27] محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة، رواية "هموم الزمن الفلاقي"، ص 231

[28] محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة، رواية "هموم الزمن الفلاقي"، ص 232

[29] محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة، رواية "هموم الزمن الفلاقي"، ص 261

[30] محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة، رواية "هموم الزمن الفلاقي"، ص 219

[31] محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة، رواية "هموم الزمن الفلاقي"، ص223

[32] محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة، رواية "هموم الزمن الفلاقي"، ص:249

[33] محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة، رواية "هموم الزمن الفلاقي"، ص: 222

[34] محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة، رواية "هموم الزمن الفلاقي"، ص: 222

[35] محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة، رواية "هموم الزمن الفلاقي"، ص: 226

[36] محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة، رواية "هموم الزمن الفلاقي"، ص: 257

[37] محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة، رواية "هموم الزمن الفلاقي"، ص: 294

[38] محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة، رواية "هموم الزمن الفلاقي"، ص: 294

[39] محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة، رواية "هموم الزمن الفلاقي"، ص: 292

[40] ينظر، محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة، رواية "هموم الزمن الفلاقي"، ص: 275

[41] محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة، رواية "هموم الزمن الفلاقي"، ص: 275

[42] محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة، رواية "هموم الزمن الفلاقي"، ص: 291

[43] ينظر، محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة، رواية "هموم الزمن الفلاقي"، ص: 290

[44] محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة، رواية "هموم الزمن الفلاقي"، ص: 229
[45] ينظر، محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة، رواية "هموم الزمن الفلاقي"، ص: 244
[46] ينظر، محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة، رواية "هموم الزمن الفلاقي"، ص: 280
[47] محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة، رواية "هموم الزمن الفلاقي"، ص: 286
[48] ينظر، محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة، رواية "هموم الزمن الفلاقي"، ص ص: 297- 298- 299
[49] محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة، رواية "هموم الزمن الفلاقي"، ص: 233-234
[50] ينظر، محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة، رواية "هموم الزمن الفلاقي"، ص: 251
[51] محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة، رواية "هموم الزمن الفلاقي"، ص: 243
[52] محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة، رواية "هموم الزمن الفلاقي"، ص: 269
[53] محمد مفلاح، الأعمال غير الكاملة، رواية "هموم الزمن الفلاقي"، ص: 270